فدخل عليهم الوهم ونزلوا في مركب وجاؤوا الى عكه..»[٣٩]... وصارت عرب الأمير احمد بن طرباي تغير على بلاد كفركنا وتأخذ طرشها وغلالها وصيرتها دكا، واستمروا على ذلك الى ان وصل اليهم خبر كسرة عسكر الشام « في معركة عنجر »[٤٠] فبعد انتصار فخر الدين في تلك المعركة ، قام في شهر شعبان ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٤م بالتوجه الى شمالي فلسطين حيث اعادها الى سيطرته وكان من ضمن ذلك حيفا . « وابقى في برج حيفا ترتر حمزه بلوكباشي وحط عنده عازقا[٤١] يكفيه ، وعمل الامير فخر الدين في هذه المنزلة أوتراق[٤٢] ثلاثة أيام »[٤٣] وكانت قد جرت اتصالات للصلح ما بين المعنيين والحوارث « وفي عاشر شهر شوال (١٠٣٣هـ/ ٢٧ تموز ١٦٢٤م) صار بين الامير فخر الدين وبين الامير احمد بن طرباي مكاتبات ومراجعة ومراسلات وحصل الاتفاق بينهما ان الامير فخر الدين بن معن يرفع سكمانيته من برج حيفا، وان الامير احمد بن طرباي يمنع عربانه عن التخريب في بلاد صفد وتصير المصافاة بينهما على بعد ، ففعل كل منهما ذلك ، غير ان الامير احمد بن طرباي ارسل من هدم برج حيفا المذكور بعد خروج السكمانية منه ومشت الدروب بين بلاد حارثة وبلاد صفد وما عاد احد يتعرض الى احمد »[٤٤] فلربما بسبب هذا الخراب نرى احمد الحارثي يخرج عن سياسته التقليدية القائمة على عدم الاهتمام بالميناء فنجده يسمح لاحد الرهبان الكرمليين سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م ببناء مساكن في الميناء ويعطيه بذلك دستورا يقول فيه : « ... وكذلك في المينا يعمر ما يحتاج اليه من المساكن واعطيناه دستورا في ذلك ، فبموجب ذلك لا احد يعترض لهم في ذلك بوجه من الوجوه لا من اهل البلد ولا من غيرهم من العربان والفلاحين وكل من يعترض لهم لا يلوم الا نفسه والحذر من المخالفة في ذلك ، وذلك جرى في اواخر شهر جمادي الأول سنة واحد واربعين بعد الألف »[٤٥] . وكما يبدو ان هذه التجربة لم يكتب لها النجاح اذ ان هناك بعض الاشارات تفيد

---

(٣٩) الشيخ احمد الخالدي الصفدي (ت ١٠٣٤ هـ/ ١٦٢٤م) ، **تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني** ، تحقيق اسد رستم وفؤاد افرام البستاني ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩ ، ص ١٣٩ .

(٤٠) **المصدر نفسه** ، ص ١٤٢ .

(٤١) العازق ، محرفة عن ازيق التركية وهي المؤونة ، انظر **رد هاوس** ، ص ٨٢ ـ ٨٣ (طبعة ١٩٢١) .

(٤٢) اوتراق : الاقامة ، انظر **رد هاوس** ص ٩٠٤ (طبعة ١٩٦٨) .

(٤٣) الخالدي الصفدي ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٩٣ .

(٤٤) الخالدي ، **المصدر نفسه** ، ص ١٩٧ ـ ١٩٨ ، ينكر طنوس الشدياق (ت ١٨٥٩ م) دون ان ينكر مصدره ان هدم البرج كان جزءاً من بنود الاتفاق ، **أخبار الاعيان في جبل لبنان** ، ٢م تحقيق فؤاد افرام البستاني ، بيروت ١٩٨٠ ، م١ ، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ، يشير جميل البحري الى برج العجوز او برج الزورة على انه « صخرة منتصبة على شاطىء البحر قيل انها من بقايا برج حصين للمدينة القديمة » فلربما كانت هذه الصخرة من بقايا البرج الذي هدمه احمد الحارثي . هذا مع العلم ان ظاهر العمر الزيداني سنة ١٧٥٠م هدم حيفا وبنى مدينة جديدة بالقرب منها اسماها العمارة الجديدة وانه بسبب ذلك وعلى الارجح ، لم يعن بالبرج القديم انظر ، جميل البحري ، **تاريخ حيفا** ، المطبعة الوطنية ، ١٩٢٢ ، ص ٥ ، كذلك راجع :

L. A. Mayer and J. Pinkerfeld, *Some Principal Muslim Religious Buildings*, Jerusalem, 1950, *pp.* 39-40.

(٤٥) انظر نص هذا الدستور في كتاب جميل البحري ، **تاريخ حيفا** ، ص ٥٠ ، وينكر البحري انه نقله عن مخطوط موجود في مكتبة دير الكرمل .